إيران في كل مكان

إبراهيم الزبيدي
كاتب عراقي

قبل بضعة أشهر أطل علينا في نفْخة إيرانية والد زوجة الرئيس الإيراني إبراهيم رئيسي إمام الجمعة في مدينة مشهد المدعو الملا علم الهدى بخطبةٍ قال فيها كلاما عن حقيقة الميليشيات العراقية واللبنانية والسورية واليمنية والفلسطينية، ووظائفها بصراحة وبالقلم العريض.

في مسعى لتعويض الخسائر يضطر النظام الإيراني إلى التضييق على المواطنين بالمزيد من الضرائب والغرامات كما أن إصرار النظام على امتلاك سلاح نووي ضاعف العزلة المفروضة عليه وعلى الشعب الإيراني

قال حرفيا "إيران اليوم ليست محدودة بالحدود الجغرافية، فاليوم الحشد الشعبي إيران، حزب الله في لبنان إيران، أنصار الله في اليمن إيران، الجبهة الوطنية في سوريا إيران، الجهاد الإسلامي وحماس في فلسطين إيران، وطائرات الدرون اليمنية التي تسببت بأضرار كهذه للسعوديين أليست إيران هناك؟ تقولون إن طائرات الدرون أتت من الشمال وليس من الجنوب، شمال أو جنوب ما الفرق؟ إيران هي الاثنان".

وبعده، في الخامس والعشرين من سبتمبر الماضي خرج علينا بنفس اللغة المنتفخة النضّاحة بالتعالي والغطرسة قائدُ مقر خاتم الأنبياء التابع للحرس الثوري اللواء غلام علي رشيد بتصريح مشابه قال فيه "إن القائد السابق لفيلق القدس قاسم سليماني كان أبلغ قادة القوات المسلحة الإيرانية قبل اغتياله بثلاثة أشهر بأنه أنشأ محورا من ستّة جيوش".

وعدَّدَها قائلا إنها "حزب الله في لبنان، وحركة المقاومة الإسلامية (حماس) والجهاد الإسلامي في فلسطين، وقوات أنصار الله (الحوثيون) في اليمن، والحشد الشعبي في العراق، والجيش السوري". إنها "القوة الرادعة أمام الاعتداءات على إيران".

وبالتدقيق في هذه التصريحات تبرز أمامنا ثلاثة أمور أعمت العنصرية والعنجهية أصحابَ العمائم الإيرانية عن إدراكها، الأول أن أعداداً كبيرة من المجندين في هذه "الجيوش" دفعت بهم الحاجة القاهرة إلى حمل سلاحها، وهم يعلمون بأنه غير مخصص للدفاع عن طائفتهم ولا عن التشيع ولا عن دولة الإمام الغائب، كما يزعم قادتُها المزورون، وإنما هو لقتل كل من يعارض الاحتلال الإيراني، حتى لو كان من أفضل الشيعة ومن أكثرهم وفاءً لمذهب التشيع، وهم في أول فرصة تتيح لهم الحصول على لقمة عيش حلال بدون قتل واغتصاب وظلم وتهجير سوف لن يتخلّوا عن ولاية الفقيه فقط، بل قد يحملون السلاح ضدها وضد عملائها وجواسيسها المطلوبين للعدالة.

والثاني أن متغيرات خطيرة شهدتها المنطقة والعالم ليست في صالح النظام ومشروعه التوسعي، بل هي تُضيّق الخناق عليه وعلى الشعب الإيراني أيضا، ولكن المعممين في طهران لا يرونها ولا يدركون خطورتها، وهي تأتي متزامنة مع تبدلات جوهرية في مزاج الشعوب التي تجرعت من ظلم النظام وميليشياته الكثير الذي لا يحتمل.

والمعنى الواجب فهمُه لهذه المتغيرات هو أن عصر الغزو والاحتلال أصبح من الممنوعات، وصار الحالمون بإعادة إحياء عظامه وهي رميم أعداء للحق والحرية والعدالة وحقوق الإنسان، ومقاومتُهم وحربُهم حلال.

فما حدث ويحدث في العراق منذ أكتوبر 2019 وإلى اليوم، خصوصا ما فعلته الانتخابات الأخيرة بالولائيين، بالإضافة إلى مواقف مقتدى الصدر الجديدة التي وإن لم نثق بصدق وطنيتها وعروبتها، تساهم وتُسرّع وتضاعف النقمة الشيعية الشعبية على الوجود الإيراني، والصفعاتُ التي يتلقاها حزب الله من جماهير الشعب اللبناني ومن ضربات الإسرائيليين خصوصا في سوريا، والمأزقُ التي تحاصر الحوثيين، والوضعُ المزري لميليشيات إيران في سوريا، كلها دلائل تؤكد أن هذه "الجيوش السنة" التي يتباهى بها المعممون ليست أكثر من كيانات هشة لن تقوى على تغيير مصيرها الأسود المنتظر والمحتوم.

أما الثالث فهو ارتفاع مناسيب النقمة الشعبية الداخلية على النظام، ليس بسبب ضياع الأموال الطائلة التي بعثرها النظام على الحروب والمؤامرات، وعلى تأسيس الميليشيات وتمويلها وتسليحها فقط، بل بسبب تفاقم أزمة البطالة، ونقص فرص العمل، وتدني مستوى المعيشة بفعل فشل السياسات الحكومية وتفشي فايروس كورونا والعقوبات الأميركية الخانقة.

وأظهرت بيانات صادرة عن مركز الإحصاء الإيراني أن عدد العاطلين زاد 2 مليون خلال الربع الأول من السنة الفارسية الماضية.

وكشف جواد حسن زادة رئيس المركز الإحصائي الإيراني في تقرير جديد له أن "العديد من الشركات علقت أنشطتها كليا وجزئيا خلال الأشهر الأخيرة".

وخفّضت العقوبات الأميركية صادرات النفط الخام الإيرانية بشكل غير مسبوق، وفرضت تحديات خطيرة على قطاعات الاقتصاد الرئيسية الأخرى.

وقد أعلن وزير النفط الإيراني جواد أوجي في اجتماع عقدته لجنة تنسيق الموازنة العامة أن بلاده بحاجة إلى 160 مليار دولار لإحياء مشاريع النفط والغاز المتوقفة بسبب العقوبات. ومن نتائج هذه العقوبات الانكماش الاقتصادي الشديد مع التضخم وانخفاض قيمة العملة المحلية مقابل العملات الأجنبية الرئيسية.

وفي مسعى لتعويض الخسائر يضطر النظام إلى التضييق على المواطنين بالمزيد من الضرائب والرسوم والغرامات.

كما أن إصرار النظام على امتلاك سلاح نووي ضاعف العزلة المفروضة عليه وعلى الشعب الإيراني.

أما إذا اضطرت الولايات المتحدة أو إسرائيل إلى استخدام القوة لتدمير المفاعلات، فإن ذلك سيعني للشعب الإيراني أن الثروات التي تكلفها المشروع قد أصبحت رمادا، وأن أعباء العقوبات التي تحملها المواطن لسنوات كانت عبثا لا طائل وراءه، ولا يمكن مسامحة النظام عليه.

فهل، بعد هذا كله، ما زالت إيران موجودة في كل مكان؟

العالم الغربي يخون الشعب الإيراني

كرم نعمة
كاتب عراقي
مقيم في لندن

لا أحد يخون الشعب الإيراني مثل الإعلام الغربي إلا الرئيس الأميركي جو بايدن. في ما يتعلق بأحد التحديات المركزية للسياسة الخارجية الأميركية في عصرنا، لا يستطيع الرئيس بايدن تغيير الحقائق بشأن إيران المارقة.

وليس بمقدور أي كلام أو دبلوماسية حكيمة أو متهورة تغيير الحقائق عن دولة اسمها إيران يقودها فريق من رجال الدين وفق نظام ثيوقراطي مسكون بالخرافة التاريخية ويدفع الشعوب للموت من أجل الالتحاق بالفردوس التي يسكن فيها الإمام الخميني!

تلك الحقيقة القائمة منذ عام 1979 لا تجد لها تشريحا فعليا في سياسات الغرب ولا في إعلامه، مثلما يتم الحديث مثلا عن الألعاب النووية التي يؤديها زعيم كوريا الشمالية كيم جونغ أون.

لا توجد عدالة في نظر الغرب إلى إيران بنفس ما يتم به تسويق فكرة ملتبسة وغير مؤكدة عما يجري في كوريا الشمالية مثلا. لكن لا أحد يجيب عن سؤال لماذا يتم معاملة إيران بطريقة رحيمة لم تحصل أبدا مع أنظمة مارقة أقل منها خطرا على السلم الدولي؟

من دون أن يُشعر الغرب إيران بشأن خطورة ما تقوم به في كل سياستها التوسعية، فإن سوء التقدير هذا يدخل المنطقة في مخاطر يصعب على العالم السيطرة عليها. وأكثر من يدفع ثمنها الشعب الإيراني، كما يدفع من كرامته المهدورة تحت سطوة النظام.

كل شيء يتأثر في المنطقة بمجرد خروج إيران عن الدور الطبيعي للدول، لا يتأثر الغرب فقط بالضرر المتوقع من توقف صادرات النفط. ستخرج الميليشيات الطائفية عن طوعها، كل مصالح العالم في المنطقة ستكون عرضة للاستهداف. فلماذا يتردد الغرب في التعامل الحازم مع السياسة الإيرانية الضارة بالسلم الدولي؟

من الواضح أن مكانة الولايات المتحدة في العالم، كحليف موثوق به للأصدقاء المحاصرين من قبل إيران، وباعتبارها عدوا جادا للأعداء المغامرين، تنهار.

يحذرنا دنيس روس الأكاديمي في معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى، الذي عرف المنطقة عن قرب، من فقدان الإيرانيين الخوف حيال الخطوات التصعيدية بشأن برنامجهم النووي. فذلك قد ينتج سوء تقدير من الجانب الإيراني حول إمكانية أن ترد واشنطن عسكرياً عليها في المستقبل، وهذا ما يجعل تحقيق نتيجة دبلوماسية أقل احتمالاً. من دون أن يفهم الإيرانيون أن المسار الذي يسلكونه خطير عليهم، ستزداد احتمالات استخدام القوة. بالتأكيد، إن الإسرائيليين هم أكثر نزعة لاستهداف البنية التحتية النووية لإيران، بما أنهم ينظرون إلى التهديد النووي الإيراني على أنه تهديد وجودي، ويرون أن إيران تقترب من نقطة التحول إلى دولة عسكرية نووية في التوقيت الذي يناسبها.

لا نجد مثل هذه النزعة، لسوء حظ المنطقة، من قادة الدول العربية المتضررة من إيران لحد الآن، فهي تكتفي بالمطالبة والمهادنة من دون أي ضغط يذكر على إرغام إيران لتغيير سياستها. ذلك يبدو لي سببا يجعل الغرب مستمرا في خيانة الشعب الإيراني عندما لا يلمس أي فعل ضاغط من الدول المتضررة من إيران.

يتساءل بريت ستيفنز الكاتب السياسي في صحيفة نيويورك تايمز عما إذا كان هناك أي نوع من الرد الأميركي. فمن غير الواضح ما إذا كانت هناك أي سياسة متماسكة على الإطلاق من قبل بايدن إزاء إيران.

إيران أسوأ بكثير مما تظهره سياسة الرئيس الأميركي جو بايدن لحد الآن ومن كل ما تقدمه وسائل الإعلام الغربية التي تجعل من الإيرانيين ضحايا لهذا الجهل بمعاناتهم القاسية

لا تزال إدارة بايدن يائسة لإعادة إيران إلى طاولة المفاوضات لتوقيع اتفاق نووي من شأنه أن يوفر مليارات الدولارات من التمويل الذي يمكن أن تستخدمه طهران لشن المزيد من الهجمات.

تم انتخاب بايدن بناء على وعد بالحكمة والخبرة والكفاءة. هل يمكن لأي شخص أن يقول بجدية إن الأميركيين حصلوا على ذلك؟ اليوم يبدو تهور دونالد ترامب أكثر أهمية للعالم من تردد بايدن العاجز لحد الآن عن مداراة هزيمته الشنيعة في أفغانستان.

في كل الذي يحصل في السلوك السياسي الغربي تجاه إيران، يدفع ثمنه الشعب الإيراني الواقع تحت مقصلة النظام. فالعالم يخون الإيرانيين بتسليط الضوء على ما يُريد النظام إظهاره، لا إيران الحقيقية التي يعيش الشعب فيها معاناة قاسية.

هناك نسختان من إيران وفق تعبير حسين روناغي، السجين السابق والمدون الإعلامي اليوم. فهو أحد الشهود الأحياء الذي عاش التعذيب في سجون النظام، ويشعر بالخذلان العالمي بعد أن شهدت إيران خمس انتفاضات محلية ضد النظام في السنوات الأربع الماضية رفع فيها الإيرانيون شعار "الموت لخامنئي" بدلا من شعار "مرك بر أميركا" (الموت لأميركا)، ومع ذلك، فإن معظم الناس في الغرب، حتى أولئك الذين يعتبرون أنفسهم على دراية بإيران، لا يعرفون الواقع الإيراني، لأن التغطية الإعلامية الأجنبية تتجاهله باستمرار أو تُنكره.

يبدو الأمر كما لو كان هناك نسختان من إيران، وفق روناغي، الأولى يعيش فيها الإيرانيون، والثانية التي يتمّ نسج القصص عنها. ويتمّ تعريف إيران من خلال مفاوضات نووية مزعجة. ويمكن أن نضيف نسخة ثالثة تنتج عن التراجع العربي حيال السياسة الإيرانية التوسعية، الذي لا يمكن اعتباره إلا ضعفا.

إيران أسوأ بكثير مما تظهره سياسة بايدن لحد الآن، وما تقدمه وسائل الإعلام الغربية، التي تجعل من الإيرانيين ضحايا لهذا الجهل بمعاناتهم القاسية.

ففي هذا البلد الذي يصيغ سياسته على مقاس جبة آية الله، لا أحد يعرف كم عدد السجناء السياسيين في زنازينه، مثلما يعرف من يرسل ولو همسة إعلامية إلى الخارج المصير الذي سيلاقيه. فإيران وفق تعبير منظمة مراسلون بلا حدود نجحت في بناء "الجدران النارية" أمام الإعلام.

واحدة من أكثر الصور عن إيران الحقيقية سبق وأن رسمتها الكاتبة آذر نفيسي في سردها العميق للواقع السياسي المتخلف في كتاب "أن تقرأ لوليتا في طهران"، فعالم الإيرانيين تحت حكم الملالي قد تشكّل وفقًا لمنظور العدسات عديمة اللون لذلك الرقيب الأعمى. وتكتب نفيسي "ليس واقعنا فحسب؛ وإنما خيالنا أيضا، فتزامن ابتكارنا لأنفسنا مع ابتكار شخص آخر لنا حتى صرنا نموذجا مزيّفا من صنع خياله، فهذا بلد يؤول كل إيماءة تأويلا سياسيا أيا كانت تلك الإيماءة خاصة أو شخصية، فهم يجدون بأن ألوان غطاء رأسي وربطة عنق أبي رموزا للانحلال الغربي وللنزعة الإمبريالية".

هذه السيدة الإيرانية من بين أصدق الشهود أمام التاريخ، وعلى بايدن والغرب بشكل عام أن يعتمد شهادتها كمبدأ عند أي خطة مرتقبة يسلكها لإعادة تأهيل النظام الراديكالي في طهران، من أجل ألا يخون الشعب الإيراني مجددا.

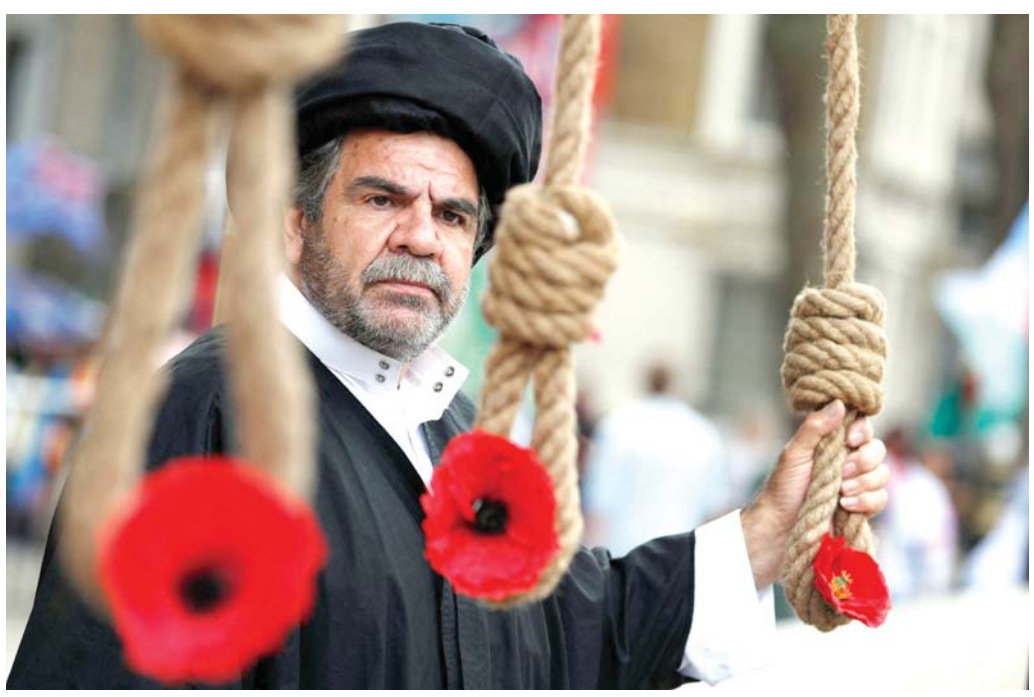

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk